«بورات: رحلة تعليمية لامريكا لمنفعة شعب قازاخستان العظيم»:

# نكتة متطرفة صادمة وعنصرية تزيح الستار عن عنصرية امريكا.. وتدعو لان يشرب بوش دم العراقيين!

ابراهيم درويش*

■ «بورات: رحلة تعليمية لامريكا لمنفعة شعب قازاخستان العظيم» فيلم «كوميدي» كتبه الممثل اليهودي البريطاني ساشا بارون كوهن (35 عاما) وهو ممثل يأخذ الكوميديا بعيدا في التطرف من اجل الضحك والفضح. في بورات: يواصل كوهن قفشاته التي بدأها بعلي جي وهي الكوميديا التي اقامها على تصرفات ابناء الاحياء واستخدم فيها لغة وحركات الشبان ولهجة الافروكاربيين. منذ ان وسع كوهن اهتمامه من التلفزيون الى السينما كان يلقى نوعا من الضحك والضحك فقط، ولكن فيلمه الاخير "بورات" وان حصد الكثير في شباك التذاكر الامريكية والبريطانية الا انه كان محلا للجدل والنقاش والتهديد من الذين شاركوا فيه او كانوا موضوعا لمقالبه برفع دعاوى قضائية ضد الممثل والمخرج والشركة المنتجة. والاتهام القائم هو اساءة تقديم مشاركات الذين كانوا موضوعا للمقالب ودفاع كوهين وشركته ان المشاركين وافقوا على الظهور في الفيلم. الان الذين ظهروا في رحلة الصحافي بورات صاقدييف الى امريكا يقولون انهم خدعوا وجروا لقول ما قالوا من تعبيرات ظهر انها عنصرية. بورات هو شخصية خيالية ظهر اولا في «علي جي» حيث يحمل كل مظاهر السذاجة والذكاء، يؤمن بثقافته المتخلفة ولكنه لا يبالي في صدم الذين يستضيفونه.

وقد كان بورات بمثابة الوجع لحكومة قازاخستان التي تساءلت عن هذه «البلية» التي نزلت عليها وتساءلت عن السبب الذي جعل هذا الممثل اليهودي المولود في غرب لندن (هامر سميث) ولم يزر قازاخستان ان «يتبلى» على امة وشعب لا تشبه تلك التي يقدمها هذا الصحافي الاحمق للمشاهد البريطاني، والان قرر ان يقدمها في نسخة امريكية للعالم. كان رئيس قازاخستان، مؤدبا او اضطر لذلك عندما زار حاضرة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير الاسبوع الماضي إذ قال ان «بورات» كان جيدا ومفيدا لصناعة السياحة في بلاده، لا اعتقد ان المئات الان يصطفون في مطار هيثرو لقضاء عطلة اعياد الميلاد هناك.

بورات قطعا ليس عن قازاخستان ولا عن الصحافي الذي يريد التعلم بل قازاخستان وسكانها البدائيون المتوحشون واللاأخلاقيون، كما يظهرون في الفيلم هو عن الاخر، عن امريكا وعنصريتها او عدم اهتمامها او مبالاتها بوجود العنصرية داخلها، وهو ايضا عن البلاهة الامريكية وعن طبيعة الكوميديا او القالب الساخر الذي يضحك سكانها. بورات هو عبارة عن سلسلة من المقالب المعدة بشكل ذكي يشارك فيها اشخاص حقيقيون يوافقون على تعليم بورات شيئا عن اخلاق امريكا، وبورات بحمقه وسذاجته وربما ذكائه كان قادرا على «الحك على الجرح» وعندها يخرج المكتوم والمكبوت. الآن يقول الذين شاركوا او قدموا تعبيرات عنصرية ان ما حدث هو عملية خداع. من سكان القرى الرومانية الذين قالوا ان الشركة استغلت فقرهم ودفعتهم للتصرف امام الكاميرا بطريقة غبية مقابل حفنة من الدولارات، الى الناشطة الانثوية، والنائب في الكونغرس، وطلاب جامعة سكروا مع بورات في الطريق واخرجوا كل المضمر في انتقاد اليهود.

كوهين يقول عن نفسه انه يهودي ملتزم ويأكل طعام الحلال اليهودي «الكوشير» ولكن رحلته التعليمية باسم الشعب القزقي العظيم هي من اجل تعرية العداء لليهود في امريكا. عداء لليهود او السامية في امريكا؟ امر غريب ومستغرب هكذا كتب تشارلس كروثمار في « واشنطن بوست» يوم الجمعة، كيف يحق لهذا اليهودي الاوروبي ان يأتي لامريكا ويستفز سكانها خاصة الانجيليين ويتهمهم بالعداء للسامية، يقول كروثمار ان من كان بيته من زجاج لا يرمي الناس بالحجارة، ففي النهاية العنصرية تطل بانيابها في اوروبا والعالم الاسلامي، خاصة ايران التي دعا رئيسها محمود احمدي نجاد لابادة اسرائيل.

ويذهب بعيدا المعلق هذا للقول ان امريكا هي البلد الوحيد التي قدمت لليهود الدعم والمساندة والنظيفة تماما من معاداة السامية، وان بحث كوهين عن العداء لليهود هو كمن «يبيع الماء في حارة السقائين» او الذي «يستبضع التمر في هجر». كروثمار يتهم النخبة اليهودية الليبرالية التي صفقت لهذا الفيلم ويقول صحيح ان روزفلت، الرئيس الامريكي كان يضحك ويسخر من اليهود، وكذلك اوثر عن نيكسون كذلك الا انهما كانا اعظم رئيسين خدما اليهود الاول امن وطنا لهم والثاني انقذهم من الابادة في حرب اكتوبر او تشرين الاول او يوم كيبور (الغفران). ماذا يقدم لنا بورات في هذه الرحلة؟

يبدأ الفيلم المعمول بكاميرا فيديو عادية في قرية في قازاخستان حيث الناس يعيشون في حالة من الفقر المدقع، الشوارع متسخة، البيوت متداعية والسكان بؤساء ومتوحشون، هنا يدخلنا بورات الى بيت عائلته ويعرفنا على زوجته البلدية المتوحشة، واخته التي فازت بكأس قازاخستان بالعهر، وامه العجوز الشمطاء وجاره الذي لا هم له الا مراقبته وشراء او امتلاك ما يحضره للبيت، واخيرا الماشية التي تعيش في نفس البيت وقريبا من غرفة الروبابيكا التي يعيش فيها بورات. تودع القرية بورات ومنتجه عزمت من التلفزيون القازاقي في رحلة لامريكيا. «عزمت» او عظمت، حيث يصلان الى مطار جي اف كيندي، ويخرجان حاملين معهما حقائبهما التي تعود الى العصور السحيقة والادهى من ذلك ان حقائب بورات كانت تحتوي على دجاج يقفز في قطار الانفاق ويلاحقه بورات بين صراخ ركاب القطار. المضحك ان بورات الفضولي يحب ان يحيي الناس ويصر على تقبيلهم وهنا موقف الامريكي من هذا الضيف العنيد والثقيل الذي يقابل بالتهديد من ناس عدوانيين او اشخاص يهربون ويجرون في الشوارع هربا من قبلة بورات. في الايام الاولى وبين انشغالاته بالمقابلات، يمارس بورات اعماله البدائية، يقعي للتبرز قرب الشوارع العامة، ويذهب الى الينابيع لغسل ملابسه الداخلية.

بعد وصول بورات امريكا يأخذنا الفيلم في رحلة مع عالم السياسة حيث يضطر نائب لان يبلع نكتة باردة من بورات ورجل علاقات عامة يتحدث عن طبيعة النكتة وما يضحك الامريكيين ولا يضحكهم، هنا يتمسك بورات او علي جي بقفشاته او كما يقولون بالعامية «بهبلنته» وقد يكون مدارا للضحك او لا، خاصة في محاولته لتعلم سياقة السيارة وصبر المرشد على بورات. في واحد من المشاهد يقوم بورات بمقابلة عدد من الناشطات النسويات ويستفزهن عندما يقول ان النساء يسرن خلف الرجال في بلاده، ويسخر من فكر النسويات، حيث تقرر احداهن ترك اللقاء. في مشهد آخر، في ملعب وسباق للخيول او الكاوبوي يلبس بورات لباس الكاوبوي المطرز بالعلم الامريكي ويخطب على مسمع الجمهور الذي يؤمن على كلامه عندما يتحدث عن حرب بوش على الارهاب، ويتمنى لو قام بوش بشرب دم كل عراقي وابادة العراق ومن فيه او عليه بحيث لا تبقى فيه الا السحالى، وهنا يؤمن الناس ولكنه عندما يقوم بانشاد النشيد الوطني القزقي مستعيرا لحن النشيد الامريكي ضج الجمهور من قلة ادب هذا الضيف. بورات يريد ان يقول لنا ان هناك قشرة رقيقة تخفي عدوانية امريكا وتحيزها وعنصريتها، ففي زيارة لعائلة راقية كجزء من رحلته لتعلم الاداب والاخلاق الامريكية، وهو في الحقيقة اعادة لمشهد ظهر في سلسلته التلفزيونية، حيث يقوم باحراج القس عندما يتحدث عن قبح زوجته، ولكن اللافت في هذا المشهد ان بورات الذي تعود الاقعاء عند التبرز يجد صعوبة في استخدام الحمام الامريكي او الافرنجي ويعود حاملا برازه لسيدة البيت في كيس، وتتفهم سيدة البيت الارستقراطية جهل بورات بالعادات والتقاليد، خاصة انه من بيئة متخلفة وتقوم بتلقينه درسا حول كيفية تنظيف نفسه بورق التواليت. ما يثير في هذا المشهد انه عندما احضر فتاة سوداء من البنات اللواتي التقاهن في المواخير لا تحتمل هذه السيدة دخول الفتاة السوداء الى بيتها وتطلب من بورات مغادرة البيت حالا. بورات نفسه وصديقه عظمت ينتميان لثقافة تكره اليهود، ففي المشهد الاول في الفيلم نتابع سباقا شعبيا يتم فيه التشنيع بصورة اليهودي في قازاخستان، وفي رحلة بورات الامريكية يجد نفسه مع عظمت في ضيافة عجوز يهودي وزوجته حيث يستقبلان بطيبة ولكن مشاعر الخوف والرهاب من اليهودي تلاحق بورات وصديقه وعندما يحضر العجوز الطعام لهما في الغرفة يتردد بتناول الطعام خوفا ورهبا ويضطر لمضغ لقمة يرميها في منشفته عندما يتحول نظر العجوز الى صور على الجدار وفي «ليلة ما فيها ضو» يهرب بورات من البيت بجلده وجلد صديقه عظمت.

بورات القادم من ثقافة تحتقر اليهود وتخاف منهم يجد ايضا عداء لليهود في امريكا عندما ينشد اغنية «دعنا نرمي اليهود في » ينضم اليه اشخاص اخرون في الحانة للانشاد وذلك في اريزونا، وعندما ينقطع في الطريق لكاليفورنيا حيث يرغب بمقابلة باميلا اندرسون من مسلسل «بي ووتش» يستضيفه طالبا كلية يسكران حتى النخاع وفي حالة السكر ينسى الطالبان نفسيهما ويطلقان كل المشاعر العنصرية المكبوتة داخلهما. سلسلة القفشات والمقالب تقود بورات من كارثة لاخرى، يخسر عظمت في الطريق ليلتقيه في كاليفورنيا وقد اصبح مهرجا على شاكلة هتلر، وتتعطل السيارة الكوميدية في الطريق، ويهشم مقتنيات محل للتحف الامريكية، ويتصارع عاريا مع عظمت في مشهد مقزز، وعندما تصل باميلا اندرسون، التي كانت توقع كتابها او مذكراتها يحاول اختطافها .. في النهاية يجد بورات نفسه وحيدا في السيارة المركبة في حقل. وبعدها يعود الى بلاده ليجد ان شيئا لم يتغير سوى ان زوجته القاسية ماتت تحت عجلات القطار ورقص للخبر عندما كان في امريكا، الفلاحون وجدوا لعبة جديدة للكراهية.

«بورات» ومن خلال موقفه المعادي للسامية او الاقليات يحاول دفع الناس للحديث عن تحيزهم بدون خجل، وهنا يتساءل ان كان الناس معادين لليهود بطبعهم ام لانهم لا يهتمون، وعدم الاهتمام هو ما يقود الى هولوكوست جديد بالنسبة للذين شاركوا في الفيلم فبورات او ساشا خدعهم، واوقعهم في الفخ ولهذا يفكرون بمقاضاته.

ولكن حديثاً عن هولوكوست جديد في امريكا بسبب موقف الامريكيين وعدم اهتمامهم لم يعجب المعلقين اليهود في امريكا، لانهم يرون ان كل شيء قابل للتصديق والاحتمال في خارج امريكا، اما هنا في امريكا، فلا. يقول كوهين في مقابلة مع صحيفة «الاندبندنت» ان الفيلم والكوميديا ليسا عن قازاخستان وانما عن الاشخاص الذين يصدقون النكات التي يعملها، ويقول «من سيصدق ان الشاذين جنسيا في هذا البلد يلبسون قبعات زرقاء والنساء يعشن في اقفاص ويشربن بول الخيول وان عمر الزاوج القانوني صار تسعة اعوام؟».

ولكن ما الذي جعله يختار قازاخستان من دون بلاد الدنيا، يقول ان اختياره جاء لان الكثير من الناس لا يعرفون شيئا عن هذا البلد ولبعده ثقافيا وجغرافيا يسهل صناعة نمطيات عن هذا البلد وتقديمها في القفشات والوصلات الكوميدية. كل هذا وكوهين درس التاريخ في جامعة كامبريدج، وعمل قبل ان يصبح ممثلا في البنك الاستثماري المعروف غولدمان ساش. بورات يعتمد في اضحاكه للذين ضحكوا في صالات السينما على فكرة الكوميديا المتطرفة، ولا اعرف السبب الذي جعل الامريكيين يضحكون خاصة ان السخرية البريطانية تختلف عن السخرية او النكتة الامريكية، كما قدمتها مسلسلات كوميدية معروفة، وتختلف عما يعرف بالنكتة اليهودية في نيويورك خاصة، حيث يسخر اليهود من انفسهم ويضحكون ويضحكون الاخرين. والكثير ممن حضروا الفيلم خرجوا بانطباعات متناقضة، بعضهم لم يضحك، واخرون غطوا وجوههم وهناك من خرج من الصالة. هناك مشاهد مضحكة ولحظات ساخرة في الفيلم ولكن ان يجمع المخرج هنا بين القرف والنكتة الفاضحة والسخرية كان عملا صعبا، ولا اعتقد ان شعبا اي شعب يحب ان يكون موضوعا للسخرية كما اختار كوهين قازاخستان، «يكشمك»!

اخرج الفيلم لاري تشارلس، وكتب النص بارون ساشا كوهين وانتوني هاينز.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

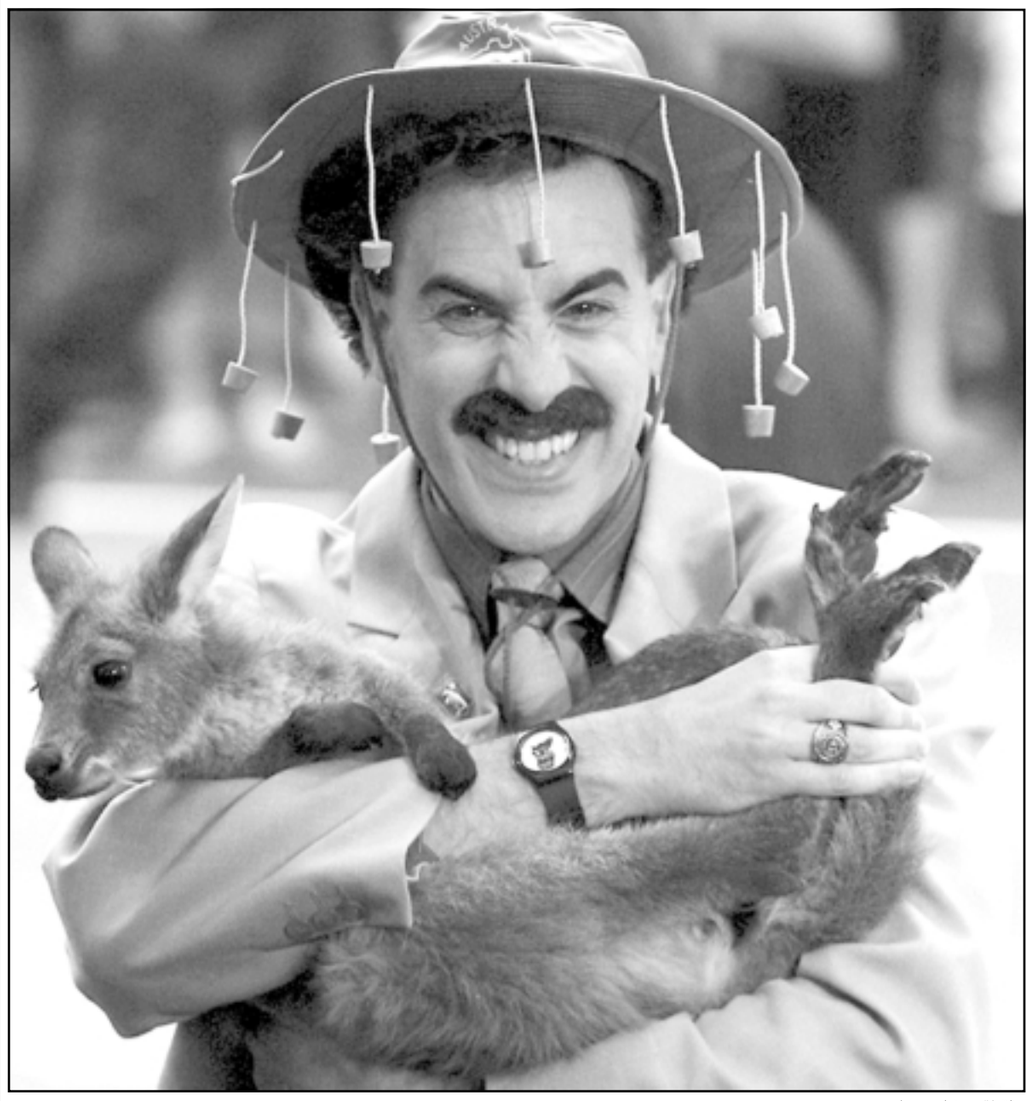

لقطة من فيلم «بورات»

# مهرجان دبي السينمائي يحتفي بأفضل الأعمال السينمائية في العالم

دبي ـ «القدس العربي»

ـ من احمد جمال المجايدة:

أعلنت اللجنة المنظمة لمهرجان دبي السينمائي الدولي الذي يقام في الفترة من 10 ـ 17 كانون الاول (ديسمبر) المقبل عن عناوين الأفلام الستة التي ستشارك بالاضافة لفيلم الافتتاح الشهير «بوبي»، في قسم العروض الخاصة ضمن فعاليات الدورة الثالثة هذا العام.

ستتضمن أجندة مهرجان دبي السينمائي الدولي عروضاً أولى لست أفلام من الشرق الأوسط وفيلم عالمي، الى جانب أعمال سينمائية تتراوح أحداثها من رصد تبعات الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) في أفغانستان، الى الثورة ضد الوجود البريطاني في ايرلندا، ومن الصداقة والخلاص في احدى المزارع، الى استكشاف عالم المجد والشهرة والبحث عن الهوية.

وتشمل مجموعة العروض الخاصة عدداً من الأفلام التي تزخر بمواضيع اجتماعية وتاريخية وثقافية متنوعة، حيث تتضمن «الريح التي تهز الشعير» The Wind That Shakes the Barley، «كابل أكسبرس» Ka-bul Express، «شارلوت ويب» Charlotte's Web، «بابل» Babel، «هوليوود لاند» Holly-woodland (العرض الأول في الشرق الأوسط)، بالاضافة الى الفيلم العربي «خيانة شرعية» (العرض الأول عالمياً).

وقال عبد الحميد جمعة، رئيس مهرجان دبي السينمائي الدولي: «يأتي اختيارنا لقائمة أفلام العروض الخاصة لهذه السنة ليعكس هدف المهرجان في تقديم أهم الأفلام العالمية التي استقطبت الأضواء خلال مشاركاتها في مهرجانات دولية أخرى كمهرجاني كان وتورنتو السينمائيين».

وأضاف: «نحن سعداء للغاية لعرض مجموعة من أهم الأفلام العربية سواء ضمن العروض الخاصة مثل فيلم «خيانة شرعية»، أو الأفلام العربية الأخرى التي ستتضمنها العروض اليومية للمهرجان. وكلنا ثقة بأن الأفلام المختارة ستلبي تطلعات حضور مهرجان دبي السينمائي الدولي».

فيلم «خيانة شرعية»، قصة مثيرة ومسلية كتبها وأخرجها خالد يوسف، تدور أحداث الفيلم حول شاب غني «هاني سلامة»، الذي يقتل زوجته وأخاه عندما يجدهما في وضع مخل. يأسر الفيلم الجمهور بنصه السينمائي الرائع والتنفيذ التقني المتقن، سيعرض الفيلم ضمن برنامج «ليال عربية».

فيلم «كابل أكسبريس»، يقدم ضمن عروض برنامج «سينما شبه القارة الهندية»، ويرصد الفيلم قصة صحافيين ذهبوا الى أفغانستان بعد أسابيع من أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001، لتغطية أحداث الحرب الوشيكة. لاقى الفيلم استحسانا جماهيريا كبيرا أثناء عرضه في مهرجان تورنتو السينمائي الدولي، حيث لا تتوقف براعة المخرج والكاتب «كابير خان» من خلال تصويره للحقيقة المتشائمة لذلك المكان فحسب، بل من خلال تصوير المرح الصاخب في وقت يمكن أن تنتهي فيه حياة المرء في غضون لحظة.

فيلم «الريح التي تهز الشعير»، الحائز على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي، اعتبر انتقاداً حول الأسباب التي تدفع الرجال والنساء للعمل في السياسة والانجرار وراء العنف. تدور أحداث الفيلم فى ايرلندا في عام 1920، ويصور كيف توحد العمال في جيش عصابات لمواجهة القوات التي أرسلتها السلطات الانكليزية للقضاء على الرغبة في الاستقلال لدى الشعب الايرلندي.

وضمن عروض «عالم السينما المعاصرة» يعرض فيلم «هوليوود لاند»، في عرض لاستكشاف عالم المجد والشهرة والبحث عن الهوية. تدور قصة الفيلم حول مفتش يقوم بالتحقيق في قضية انتحار الممثل جورج ريفز، نجم المسلسل التلفزيوني سوبرمان. الفيلم من اخراج الن كولتر، ورشحه النقاد في مجلة «وول ستريت جورنال» و«فانيتي فاير فوركاست» ليكون منافساً قوياً على جوائز الأوسكار هذه السنة.

وتدور أحداث فيلم الرسوم المتحركة «شارلوت ويب»، الذي أخرجه غاري وينيك عن قصة لـ اي بي وايت، حول علاقات الصداقة الوثيقة التي تجمع عدداً من الحيوانات الذين يعيشون معاً في مزرعة واحدة، وفي أحد الأيام يقع أحد الحيوانات في مأزق، وبداع من ميثاق الصداقة الذي يجمعهم يهب الجميع كأسرة واحدة لانقاذه. أدرج الفيلم ضمن عروض سينما الأطفال لاستقطاب أكبر عدد من جمهور الشباب.

وضمن برنامج «مد جسور التواصل الثقافي» يقدم فيلم «بابل»، الذي أخرجه اليخاندرو غونزاليس ايناريتو، ويختتم فيه الثلاثية التي بدأها مع «اموريس بيروس» و«21 غراما».

لقطة من فيلم «هوليوود لاند»

لقطة من فيلم «الريح التي تهز الشعير»

# تداعيات

## زوجة الشاعر

منهل السراج *

■ ليس من منطلق قضية المرأة وحقوقها، أقول: إن كنتم ترغبون بمعرفة الشاعر، الفنان، الكاتب، المشهور.. اسألوا الزوجات، اسألوا الأمهات، لديهن الجواب اليقين. وهو إن لم يكن عادلاً، فالمغالاة من حقهن. ربما تغلب نزعة الإعجاب عند الأم، لأنه ابن بطنها، وتغلب نزعة التملك عند الزوجة لأنه نصيبها بكل الأعراف، ولكن يمكن تلمس الحقيقة من خلال شهاداتهن.

دُعينا لزيارة بيت شاعر مرشح لجائزة نوبل، أصابه حادث أقعده.

قبل أن نطرق باب البيت، حاولت تصور زوجة الشاعر العالمي. تخيلتها تترجم ما يرغب قوله، من إشاراته، تخيلتها ضاحكة على الدوام، كما ينبغي لزوجة الشاعر أن تكون.

كان الواقع أكثر بكثير مما تخيلت.

فتحت لنا الباب مرحبة. أخذت الورد وغابت وقتاً ليس قصيراً، ثم رجعت مصففة الزهور بعناية بالغة. باعتيادية وعفوية وضعتها في ركن يلائم نظر الشاعر.

كان يرفع يده، فتلتفت إلينا وتخبرنا ما رغب أن يقوله، يحرك رأسه، فتسرد لنا قصة من الماضي. ينبس حرفاً، ويستدير باتجاه ما، فتنجده وتكمل ما أراد إخبارنا به. ينظر في السقف، فتجيبه عن أمر، تعرفه هي وهو وبينهما لوحدهما. رتبت منديل الطعام على عنقه، وقربت الملعقة من متناول يده، أعطته كرسيها، وجلست هي في كرسيه المتنقل. حرك إصبعاً من يده السليمة فقالت: لا لا يمكنك فعل هذا. ثم برمشة خفيفة من عينه، وافقت وذهبت لتحضر نوتة موسيقية، وساعدته كي يجلس إلى البيانو. ابتسمت حين بدأ العزف، ثم ناولته نوتة أخرى وهكذا..

لا أدري إن كانت تفهمه بإحساس الحب، أم هي المعاشرة الطويلة، أم أمور كثيرة مجتمعة.

بيتها أبيض، الستائر والسجاد وأغطية الطاولات والوسائد، وزعت زرعاتها ذات الزهور الصغيرة أيضاً لتحكي كل منها قصة الزاوية التي ركنتها عندها.

راقبتها، وراقبته وراقبت بيت الشاعر، ومؤلفاته الكثيرة، ثم سألتها بوقاحة:

ـ هل تحبين شعر زوجك؟.

ضحكت.

فاستدركت:

ـ هل تحبين الشعر؟

ضحكت أيضاً.

فقلت:

ـ ماذا تقولين عن زوجة الشاعر؟

تمنيت أن تتحدث عن شباب الشاعر الذي أكثر مثل كل الشعراء من نزواته، تاركاً زوجته وحيدة تعد له عالم البيت لكي يرجع ويرتاح، ظننت أنها ستخبرنا عن ليال بكت وحدها لأنه نسي أنها امرأة ليست أقل جمالاً من تلك النساء، وتوقعتُ أنها ستحكي عن عطشها للحب وأمنيتها لو كانت عابرة في حياته ونالت شرف إهدائها مقطعا من قصيدة، أو عن حلمها بأن يكون لعينيها تأثير عيني تلك التي صادفها في قطار وألهمته قصيدته الشهيرة، أو أنها أمه التي استعار من أجلها قداسة العالم كله، أو تلك الفتاة التي أغفت بجانبه في مقعد الطائرة وركنت رأسها على كتفه، أو، أو.. لكنها، راحت تتحدث عن تجربة مرض الرجل، وبإسهاب طويل فصلت حالة شلل ساقه ويده، ثم الجلطة التي شلت قدرته على الكلام.

أخبرتنا كيف كانت مهمتها في البداية صعبة، وعانت كثيراً نتيجة نقص معلوماتها في تمريض هذه الحالات، ثم كيف صارت المهمة أقل صعوبة مع مر السنين الطويلة، لأنها صارت اعتيادية بحكم الممارسة اليومية واللحظية.

كان الشاعر وتاريخه هو حياتها، وربما باعتقادها حياة العالم كله.

تذكرت أمسية حضرتها لكاتب خصص حديثه عن كتابه الذي سرد فيه تجربة عبد القادر الجزائري النضالية، وأرانا صورة البطل على غلاف الكتاب. كان لرجل التاريخ الكبير، الذي تبين أنه كتب الشعر أيضاً، حاجبان مهذبان، وبشرة وجه مشدودة شابة. قفزت رفيقته أمام وجهي، فسألت الكاتب الذي بحث في حياة البطل طويلاً: من خلال بحثك في المصادر والمراجع، ترى ماذا قالت أم عبد القادر الجزائري عنه؟ وما هو رأي زوجته؟

ضحك الكاتب وقال:

ـ لقد تطرقتُ في الكتاب لحوار جرى بينه وبين امرأة فرنسية كانت تناضل من أجل المرأة، قالت له: أنتم تتزوجون أكثر من امرأة، وكانت تقصده، لأنه تبين أنه كان لديه أكثر من زوجة.

وهنا قال الكاتب. «أجابها الشاعر»:

ـ لو كان لزوجتي الأولى حضورك الأخاذ، لما فعلتها إلا مرة واحدة.

وأذكر أمسية الشاعر الذي أحب شعره كثيراً وأقرؤه دوماً. ما إن دخل من باب المركز الثقافي، حتى كادت دمعته تنفر من عينه. صدم بالصالة الغبية والحضور القليل، والذي أكثر بعد ذلك من النق، وكره مسؤول المركز لأنه يبتسم تحت صورة رئيس الجمهورية، والجدران الوسخة، وقهوة الآذن السيئة، والكنبات شديدة الضخامة، لم يكن في كل المحيط ما هو على ذوقه، ابتلع صدمته حتى لا يتهم بالتكبر، وتلفت يستنجد بملاك يخلصه، فرأى زوجته.

سألها بنزق شديد:

ـ في أي جيب من تلك الحقيبة، وضعنا قصيدة «رعشاتها»؟

ربما في قلبه أراد من ملاكه أن يصلح له شؤون هذا الوسط، ويهيئ العالم للشعر، ويعتذر له بشدة لأن القبح كثير ويلامسه.

وقفت الزوجة مستلبة تماماً وخجلت، ثم بمهارة عالية ناولته طلبه، واستدارت ناحيتي، لأني شهدت نزقه عليها:

ـ بم أخطأتُ أنا؟

راح الشاعر يقرأ الشعر، والحضور يصفق بشدة، فيما راحت جملة زوجته، «بم أخطأت أنا؟» ترن في أذني. التفت إليها، فوجدت وجهاً ضاحكاً كوجه الأطفال، وكفين تصفقان بحرارة كأن الفوز فوزها.

حين ترك كرسيه، تركت كرسيها، واتجهت إليه بسرعة، ناولته منديله وأخذت أوراقه، رتبتها بعناية في الحقيبة، ومشت وراءه تحرس ظهره.

* كاتبة من سورية تقيم في السويد